## المحاضرة الثامنة: علم مناهج البحث ( مستوياته و أصنافه) .

تأسس علم مناهج البحث بفضل جهود فلاسفة الغرب ، حيث ظهر علما مستقلا له أسسه ومبادئه المعممة على شتى العلوم ومختلف ميادين البحث، ومنذ ذلك الحين انصرف اهتمام الكثير من العلماء إلى دراسة هذا العلم وتحليله وبيان كيفيات تطبيقه، وأهم ما يميز هذا العلم أن كل العلوم تسعى إلى التقرب منه وذلك لأنه المحدد الأول لمدى علمية أي معرفة من المعارف[1]، وعليه فكل العلوم بما فيها العلوم الإنسانية تتعزز مصداقيتها كلما وضعت المناهج العلمية موضع التطبيق .

**مستويات مناهج البحث العلمية** : يتألف علم المناهج من ثلاثة مستويات، هي:

ـــ علم المناهج العام: قد تختلف مناهج البحث في هذا العلم أو ذاك بعضها عن بعض؛ فهناك فرق مثلاً، بين علم الفلك وعلم الكيمياء والجيولوجيا والرياضيات وعلم الاجتماع، ولكن على الرغم من هذه الفروق في مناهج كل علم، فإن هناك أساسيات تجمع بينها جميعاً، وهذه الأساسيات هي التي يهتم بها علم المناهج العام الذي يشتمل على مناهج المعرفة العامة ومبادئها في الطبيعة والمجتمع. وبمعنى آخر، يشمل علم المناهج العام الأسس النظرية العامة ومبادئ إيجاد المناهج في العلم واستخدامها، وهو بذلك لا يقتصر على مناهج علم بذاته، بل على المنهج العام الذي يصلح للاستخدام في الطبيعة والمجتمع، كالمنهج الاستقرائي مثلاً.

ـــ علم المناهج الخاص: ويشتمل هذا المستوى من مستويات علم المناهج على المبادئ والقواعد الخاصة بمناهج مقاربة موضوعات مجالي الوجود الأساسيين المتمثلين بالطبيعة والمجتمع. فاستناداً إلى المبادئ المعرفية التي يتضمنها علم المناهج العام، يبحث علم المناهج الخاص بالعلوم الاجتماعية –على سبيل المثال – في المبادئ والأسس ذات العلاقة بالمناهج والطرائق والأدوات التي تتناسب مع خصوصية الظواهر الاجتماعية، والتي يمكن استخدامها في مجال العلوم الاجتماعية.

ـــ علم المناهج القطاعي أو الوحيد: بينما يهتم علم المناهج العام بمناهج المعرفة العلمية العامة والشاملة ومبادئها، وعلم المناهج الخاص بالقواعد والأسس المرتبطة بمعرفة ظواهر هذا المجال أو ذاك من مجالات الوجود الأساسية، يشتمل علم المناهج القطاعي على مبادئ استخدام المنهج وطرائق البحث المناسبة لهذا العلم أو ذاك. حيث يتميز علم المناهج القطاعي بتبعيته لموضوع دراسة اختصاص علمي محدد. فمن أجل أن يقوم علم الاجتماع، على سبيل المثال، بوظيفته على أحسن وجه لابد للمختصين فيه من البحث الدائم عن أصدق المداخل المنهجية التي تساعد على الحصول على المعلومات الدقيقة من الواقع الاجتماعي، وهذا يمكن أن يتم في إطار علم المناهج القطاعي الخاص بعلم الاجتماع الذي يصب اهتمامه على مسائل، مثل:

تطوير المداخل المنهجية المناسبة لدراسة موضوع علم الاجتماع، ودراسة إمكان استخدام كل طريقة من طرائق البحث الاجتماعي وحدودها وكيفية الولوج ميدانياً إلى الواقع الاجتماعي لجمع البيانات المطلوبة منه وفقاً للمخطط النظري [2].

كما أن هناك جملة من التصنيفات التقليدية والحديثة نتناولها في الفرعين التاليين :

الفرع الأول : التصنيفات التقليدية لمناهج البحث العلمي .

تم تصنيف مناهج البحث العلمي تقليديا إلى عدة تصنيفات نذكر من بينها ما يلي :

ـــ المنهج التحليلي والمنهج التركيبي : المنهج التحليلي الإكتشافي أو منهج الاختراع وهو يستهدف الكشف عن الحقيقة، أما المنهج التركيبي أو ألتأليفي الذي يقوم بتركيب وتأليف الحقائق التي تم اكتشافها أو اختراعها بواسطة المنهج التحليلي وذلك بهدف تعليمها ونشرها للآخرين، ما يعاب على هذا التصنيف أنه ناقص لأنه يتحدث عن الأفكار فقط ولا يشمل القوانين والظواهر كما أنه لا يصلح لكافة فروع العلم والمعرفة.

ـــ المنهج التلقائي والمنهج العقلي التأملي: المنهج التلقائي هو ذلك المنهج الذي يسير فيه العقل سيرا طبيعيا نحو المعرفة أو الحقيقة دون تحديد سابق لأساليب وأصول وقواعد منظمة، أما المنهج العقلي التأملي فهو ذلك المنهج الذي يسير فيه العقل والفكر في نطاق أصول وقواعد منظمة ومرتبة من أجل اكتشاف الحقيقة أو الحصول على المعرفة[3].

انتقد هذا التصنيف لأنه تحدث عن طرق ووسائل الحصول على المعرفة والشروط العقلية العلمية وليس على مناهج البحث العلمي كمناهج لها أصول وقواعد وقوانين.

الفرع الثاني: التصنيفات الحديثة لمناهج البحث العلمي.

يمكن إجمال التصنيفات الحديثة من خلال الرجوع إلى الفقهاء الذين نادوا بها ونتناولها على النحو التالي:

ـــ تصنيف هويتني (Whitney) : رتب هويتني المناهج العلمية على النحو التالي :

1 ) المنهج الوصفي ـــ 2) المنهج التاريخي ـــ 3) المنهج التجريبي ـــ 5) البحث الفلسفي ـــ 6) البحث التنبؤي .

6) البحث الاجتماعي ـــ 7) البحث الإبداعي .

ـــ تصنيف ماركيز Marquis) ): رتب ماركيز مناهج البحث العلمي على النحو التالي :

1) المنهج الأنثروبولوجي ( الملاحظة الميدانية ) ـــ 2) المنهج الفلسفي ـــ 3) منهج دراسة الحالة ـــ 4) المنهج التاريخي.

5) منهج المسح ـــ 6) المنهج التجريبي .

ـــ تصنيف جود و سكايتس Good et Scates : رتب هذان الفقيهان مناهج البحث العلمي إلى :

1) المنهج التاريخي ـــ 2) المنهج الوصفي ـــ 3) منهج المسح الوصفي ـــ 4) المنهج التجريبي ـــ5) منهج دراسة الحالة والدراسات الإكلينية ـــ 6) منهج دراسات النمو والتطور والوراثة .

كل هذه التصنيفات بالغ أصحابها في تحديد مناهج البحث العلمي ، حيث أقحموا بعض أنواع البحوث وطرق الحصول على المعرفة والثقافة وكذا بعض أجزاء المناهج الأصلية[4] .

لكن هناك مناهج أصلية وأخرى فرعية متفق عليها من طرف العلماء وكتاب علم المناهج وهي على النحو التالي :

المناهج الأصلية : المنهج الاستدلالي ـــ المنهج التاريخي ـــ المنهج التجريبي ـــ المنهج الجدلي أو الدياليكتيكي .

المناهج الفرعية : وتظم كل المناهج الأخرى التي لم يتم الاتفاق حول اعتبارها مناهج أصلية ومن بينها المنهج الوصفي والمنهج الإحصائي والمنهج التحليلي والمنهج المقارن وغيرها من مناهج البحث الأخرى[5] .

ـــ مدى إمكانية إخضاع العلوم الإنسانية للمنهج العلمي .

لم يقبل العلماء بسهولة في السابق فكرة تطبيق مناهج البحث العلمي على العلوم الإنسانية، حيث كانوا ينظرون إليها على أنها ليست علوما وذلك لما تحدثه العلوم الإنسانية من لبس في المفاهيم نظرا لخصائصها المتنوعة والمتمثلة في :

ـــ الظواهر السلوكية معقدة ومتشابكة .

ـــ الظواهر السلوكية ديناميكية وسريعة التغيير والتفاعل .

ـــ فقدان التجانس بين الظواهر السلوكية .

ـــ صعوبة استخدام الطرق المختبرية .

ـــ التحيز والميول الشخصي للباحث .

أهم قاعدتين طرحهما علماء العلوم الإنسانية من أجل تذليل الصعوبات التي تعوق البحث العلمي في هذا المجال هما[6] :

1) اعتبار الظواهر الاجتماعية أشياء عند دراستها فالشيء هو كل ما يصلح أن يكون مادة للمعرفة ومنه تصبح مثل الظواهر الطبيعية قابلة للإدراك من خارج ذاتية الباحث .

2) استبعاد كل العوامل النفسية التي تبعث في نفس الباحث الشعور بالقهر الاجتماعي هذا ما دعا إليه ( إميل دور كايم ) من أجل عزل الظواهر الاجتماعية عن فكر ووعي الباحث وجعلها كأنها كيان قائم بذاته خارج مجال التأثير على الفرد .

**هوامش و مراجع المحاضرة :**


1_ انظر : رحيم يونس كرو العزاوي ، **مقدمة في منهج البحث العلمي**، دار دجلة، عمان ، 2007.

2_ يوسف بريك :مقال بعنوان "علم المناهج.." موقع الموسوعة العربية :https://www.arab-ency.com/arبتاريخ : 2017/12/31

3_ مناهج البحث العلمي، الدكتور محمد محمود الذنيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، الطبعة الثانية 1999.

4ـــ انظر : ماهر عبد القادر محمد علي، فلسفة العلوم: الميثودولوجيا (علم المناهج)،دار النهضة العربية، بيروت 1997.

5ـــ بول موي، المنطق وفلسفة العلوم، ترجمة فؤاد زكريا ،دار نهضة مصر، القاهرة د.ت.

6ـــ فرانتز روزنتال، مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي، ترجمة أنيس فريحة ،دار الثقافة، بيروت 1961.